المحاضرة 2 : العمارة الإسلامية الأولى (610-661).

مقدمة :

العمارة الإسلامية هي تعبير يشير إلى فن البناء (البناء) الذي تطور منذ القرن بداية التاريخ الاسلامي "الهجري " هجرة الرسول ﷺ من مكة الى المدينة التي كانت تسمي يثرب حيث يعتبر هذا التاريخ بداية نشاءت الدولة الاسلامية و اساسها كان بناء المسجد النبوي الشريف الذي بالضافة لوضيفته الدينية "مكان للصلاة و التعبد" لكن ايضا لادارة شؤون الدولة .يوافق داية التاريخ الهجري بداية القرن السابع ميلادي .لقد توسع نطاق االعالم الاسلامي بفعل الفتوحات الاسلامية و ايضا بفعل التعاملات التجارية و تفكك الامراطوريات القديمة من روم و فرس الصين و الهند ليشمل بالاضافة لشبه الجزيرة الاسلامية اجزاء واسعة من اسيا "الهند الصين و روسيا تركيا" تمتد على أفريقيا وآسيا، ومن الساحل الغربي للمحيط الأطلسي إلى الهند و الصين من الغرب إلى الشرق، ومن آسيا الوسطى إلى المحيط الهندي من الشمال إلى الجنوب. ويمكننا أن نضيف إلى ذلك البلدان التي كانت ضمن تحت سلطة الامرطوريات الاسلامية "العباسية،الاموية او العثمانية مثل إسبانيا والبانيا .

لا يمكن لأي مسافر عبر الزمن أن يدفع الدهشة العميقة التي ستنتابه حينما يجول في تاريخ عمران المدينة الإسلامية الولى ؛ فقد عرف المسلمون مفهوم "المدينة" في وقت مبكر جدا مع الهجرى النبوية الشريفة ، وفهموا كيف تشكل اللبنة الأساسية لإقامة دولة مركزية كبرى، إذ لن تقوم حضارة ودولة تقريبا من العدم من غير أساسٍ عميقٍ التمدن والتحضر. فمنذ البداية؛ كان الوعي المدني حاضرا تخطيطا وعمرانا منذ اللحظة التي وطاة اقدام الرسول ﷺ المدينة المنورة وهو يخطط عمران المدينة الجديدة! لقد كانت اهتمامه يتجه إلى التوأمة بين المسجد اول بناء كان مسجد الرسول ﷺ واختيار موقع للسوق المدينة منهيا هيمنة اليهود على التجارة في الدينة ، وضبط التوزان السكاني بدمج المهاجرين والأنصار في مؤاخاة إيمانية ومجاورة مدنية لم تعرفها الحاضرة العربية من قبل. حيث كانة عبارة عن أجزاء متناثرة لقبيلتي الاوس و الخزرج وحصون اليهود .و اقرارا للحرية الدينية التي اقرها الإسلام فقد تم تحرير اول قانون يسير المدينة ارقرته كل الطوايف التي تسكن المدينة باختلاف اعراقها و معتقداتهها و سمي ب"وثيقة المدينة"

وثيقة المدينة:

كان الهدف من كتابة دستور المدينة هو تحسين العلاقات بين مختلف الطوائف والجماعات في المدينة، وعلى رأسهم المهاجرين والأنصار والفصائل اليهودية وغيرهم، حتى يتمكن المسلمون واليهود وجميع الفصائل بمقتضى هذا الدستور من التصدي لأي عدوان خارجي على المدينة. وبإبرام هذا الدستور وإقرار جميع الفصائل بما فيه أصبحت المدينة المنورة دولة وفاقية يرأسها النبي محمد، والمرجعية العليا للشريعة الإسلامية، جميع الحقوق الإنسانية مكفولة فيها كحق حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر والمساواة والعدل. و ذلك لتحقيق الأهداف التالية :

- ضمان الدفاع المشترك عن لكل أطياف الساكنها في حالة الاعتداء عليها .
- محاربة مصادر الفتن داخل المدينة من كل أطياف سكانها .
- ظمان حرية المعتقد و التعبد لكل سكان المدينة.
- نشر الامن و الاستقرار في كل ربوع المدينة .

و لقد نصه هذه الوثيقة و قد سميت "دستور المدينة او صحيفة المدينة " و هي في شكل 51 بند تتلخص في ما يلي :

- ان تكون سلطة المدينة بيد الرسول ﷺ و لا يحق لاي طايفة التصرف الا باذنه و بعد التشاور مع المسلمين.
- تبني مبدا الحوار و التعايش السلمي بين المسلمين و الديانات الأخرى في المدينة.
- التزام الجميع بالدفاع على المدينة في حال تعرضها لاي خطر او هجوم خارجي .
- التساوي في الحقوق و الواجبات لكن سكان المدينة المنرة.

- الالتزام بمنع و التصدي لكل من يهدد امن المدينة و الاضرار بالمصلحة الحامة لسكانها.

المسجد النبوي الشريف:

المسجد النبوي الذي بناه النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقت قصير من هجرته من مكة إلى المدينة المنورة في العام الأول هـ (622 م)و تم اختيار موقعه حسب القصة الناقة المعروفة في كتب السيرة على ارض اشتراها الرسول . كان في الأصل مسجدًا صغيرًا(35.62م/35.05م) مبنيًا من الطوب و وسعف النخيلبني على احدى جوانبة بيت الرسول ، و بعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية الناشئة تخضع لعدة توسعات عبر التاريخ قام بها الخلفاء الراشدين من معد وافاته و اول خليفة قام بذلك عمر الفاروق رضي الله عنه ، مما جعله اليوم أحد أكبر المساجد في العالم. يقع في المسجد قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك قبر اثنين من اقرب أصحابه، أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وظايف المسجد النبوي الشريف :

المسجد النبوي هو قلب المدينة المنورة. اذ يعتبر عمرانيا مركز المدينة و نقطة محورية من حوله توسعة المدينة في كل الاتجاهات . لم يكن المسجد النبوي مجرد مكان للصلاةبل و ايضا مكانًا تدار فيه كل شؤون الدولة و مدرسة تعليم كل العلوم و ملجاء لمن لا ماوى لهم حيث من اهم الوضائفه:

- لقد كان مكانا للتعلمللمسلمين شؤون دينهم و دنياهم.
- المقر المركزي للاعلام .
- دار القضاء حيث يتم حل النزاعات القانونية.
- المقر الذي تدار فيه شؤون الدولة الاسياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و العلاقات الخارجية.
- ملجأ للفقراء والمحتاجين.

أبواب المسجد النبوي الشريف :

للمسجد النبوي الشريف ثلاث ابواب رئيسية و هي:

1. الباب الشرقي : له عدة أسماء منها باب النبي ﷺلأنه كان يدخل منه، وباب سيدنا عثمان رضي الله عنه الأول لأنه كان في بيت آل عثمان. ويعرف اليوم بباب جبريل لأنه من هذا الباب دخل منه جبريل عليه السلام.
2. الباب الغربي :. ويعرف اليوم بباب الرحمة.
3. البوابة الجنوبية : وتعرف الآن ببوابة عمر. تم إغلاق هذا الباب وفتح باب جديد وهو باب الشمال بعد أن تم تغيير اتجاه القبلة من القدس إلى مكة

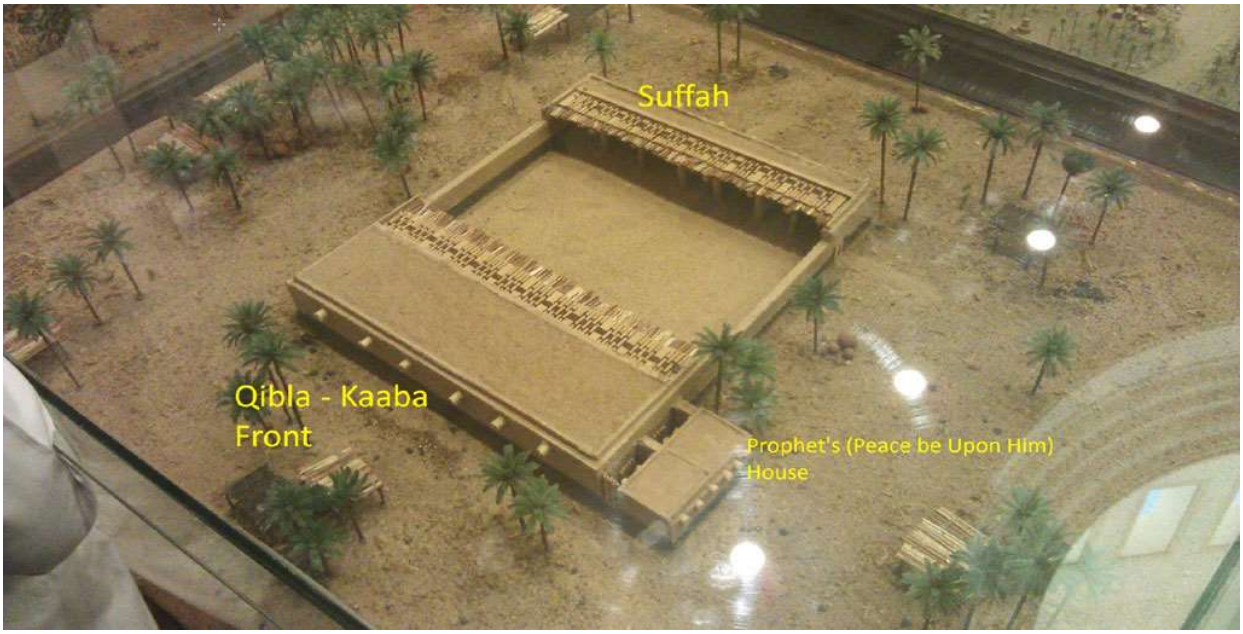

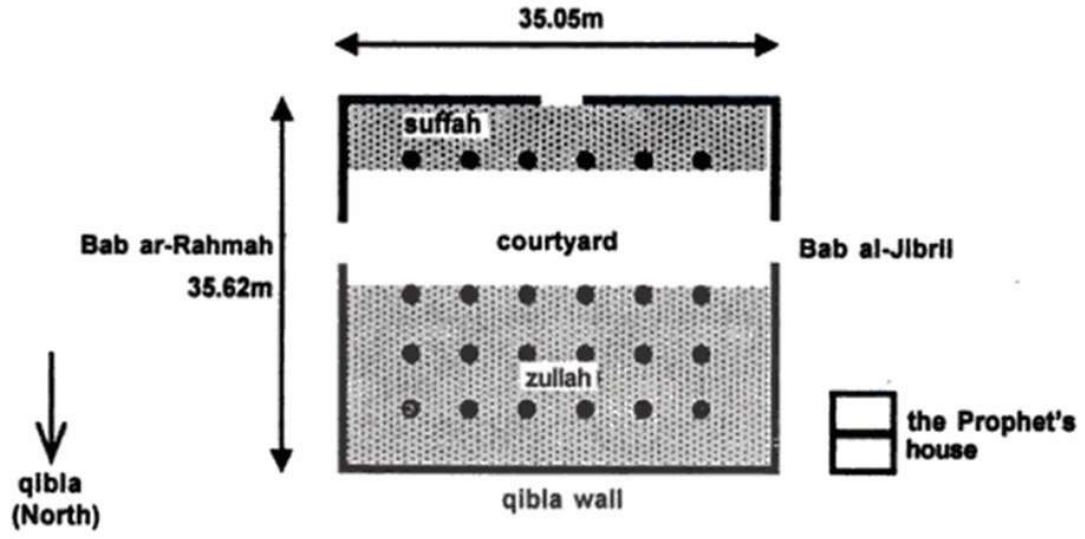

Plan of the Prophet's mosque before the enlargement by the Prophet

التوسعة الأولى للمسجد النبوي الشريف :في السنة ال7 ه/628م :

بعد تزايد عدد المسلمين و اكتضاض المسجد قرر الرسول ﷺتوسيع المسجد حيث عثمان بن عفانرضي الله عنه بشراء أرضًا بجوار المسجد لتوسيع مساحة المسجد بشكل كبير.

و بذلك بلغت مساحته 2200 متر مربعحيث تمت التوسعة من جهة الشمال و الشرق و الغرب باطوال حوالي ٤٧ م، كما تم زيادة ارتفاع أسواره إلى ما يقارب 3.6 متر. وأضيفت ثلاثة صفوف من الأعمدة إلى الجدار الغربي بعمق 15 متراً تقريباً. أصبحت هذه المساحة المكان الرئيسي للصلاة.

كما تم توفير منبر بناهاحد الصحابة من خشب الأثل عوض جذع النخلة ، وكان المنبر مكونًا من درجتين ويوفر مقعدًا يمكن لرسول ﷺ أن يخاطب منه أصحابه. في السابق، كان النبي ﷺ يتكئ على جذع شجرة عندما يتحدث مع الصحابة.و حينها تم تغير اتجاء القبلة نحو الكعبة المشرفة و بذلك تم تحويل اهل الصفة(فقراء المسلمون) الى خلف المسجد جهة الشمال.

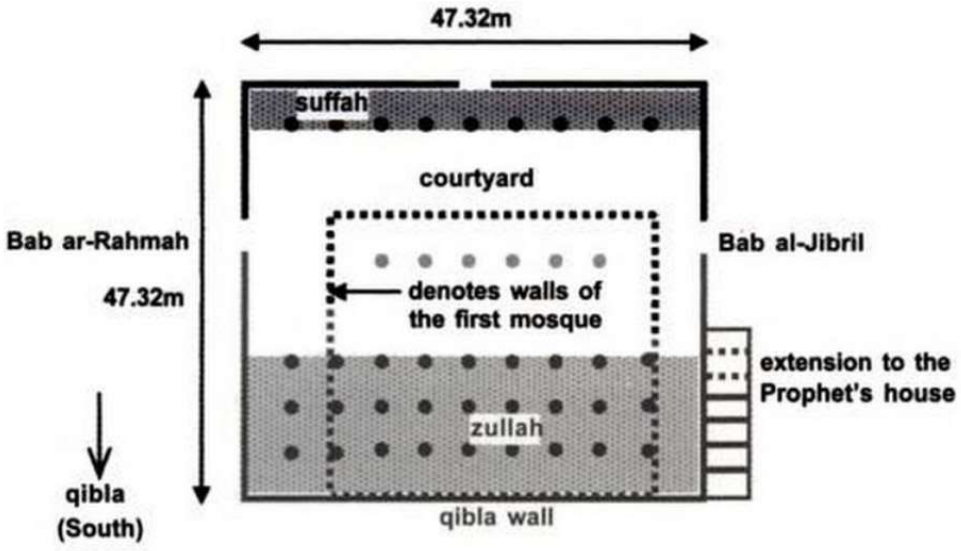

Plan of the enlarged Prophet's mosque after the Conquest of Khaybar in 7/628

التوسعة الثانية للمسجد النبوي الشريف سنة 17 ه/639م :

بعد أن توسعت رقعة الدولة الاسلامية و زاد تعداد المسلمين جراء الفتوحات الإسلامية، قرر عمر بن الخطاب توسيع المسجد النبوي الشريف ، و ذلك بعد شراء بعض البيوت المحيطة بالمسجد بعض ، و حرص ان يبقي بيت ا النبي ﷺ كما هي .وقام بالتمديدات التالية:

تم توسيع واجهة المسجد (الجهة الجنوبية) بمقدار 5 أمتار.

وتم توسيع الجزء الخلفي من المسجد (الجهة الشمالية) بمقدار 13.5 متراً.

وتمت زيادة الجانب الغربي بمقدار 10 أمتار

واستعاد المسجد شكله المستطيل، حيث يبلغ طوله حوالي 58 مترًا من الشرق إلى الغرب، و66 مترًا من الشمال إلى الجنوب. تم بناء الجدران من الطوب المجفف ب وارتكزت على أسس حجرية يبلغ عمقها حوالي 1.8 متر. تم رفع السقف إلى ارتفاع 5.6 متر. كما تناثرت الحجارة الصغيرة على الأرض وكانت سعف النخيل المنسوجة بمثابة سجاد.

كما تمت إضافة ثلاثة أبواب إضافية، ليصل إجمالي عدد الأبواب إلى ستة. والبوابات الثلاثة الجديدة هي:

- باب النساء (باب النساء) من جهة الشرق.
- باب السلام (باب السلام) من الغرب.
- باب إضافي إلى الشمال

كما أدخل عمر البخور الذي كان يستخدم كل جمعة وفي شهر رمضان. بالإضافة إلى ذلك، أنشأ منطقة إلى الشرق من الفناء، تُعرف بالبطيحة، تتيح للناس مناقشة شؤونهم الدنيوية وقراءة الأشعار، بعيدًا عن الصلاة.

و حرص عمر على ابقاء الروضة الشريفة كما .

التوسعة الثالثة للمسجد النبوي الشريف سنةسنة 29ه/649م :

نظرا لتوسع رقعة الدولة الاسلامية المتسارع قام الخليةالراشد سيدنا عثمان بن عفان بتوسعة رابعة حيث استمرت العملية مدة عشرة اسهر قام خلالها الخليفة بالمشاركة في التوسعة و لقد حافظ المسجد على شكله المستطيل ، بطول 81 مترًا من الشمال إلى الجنوب، و63 مترًا من الشرق إلى الغرب. تم استخدام مواد أكثر متانة في بناء المسجد:

حيث استعملت الحجارة في بناء الجدران مرتبة بشكل منتظم ومثبتة بملاط من الجير

وتم استبدال أعمدة جذوع النخيل بأعمدة حجرية مثبتة بملاقط حديدية ومدعمة بالرصاص.

كان السقف مصنوعاً من أغصان خشب الساج، ربما تم استيرادها من الهند عبر ميناء أبله الواقع بالقرب من البصرة في العراق.

وبقي عدد الأبواب كما هو، وكذلك أسماء كل منها، على الرغم من تغير موقعها، أبرزها باب السلام وباب الرحمن على الحائط الغربي.

على الرغم من أعمال التجديد واسعة النطاق، تم الحفاظ على المخطط الأصلي للمسجد. وبقي المنبر على مكانه، كما بقي محراب النبي صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك، تم إنشاء محراب جديد على الجدار الشمالي، حيث أدى الإمام الصلاة، مما أتاح توسيع مساحة الصلاة. محراب النبي صلى الله عليه وسلم لم يعد مستخدما وهو الآن الروضة الشريفة .

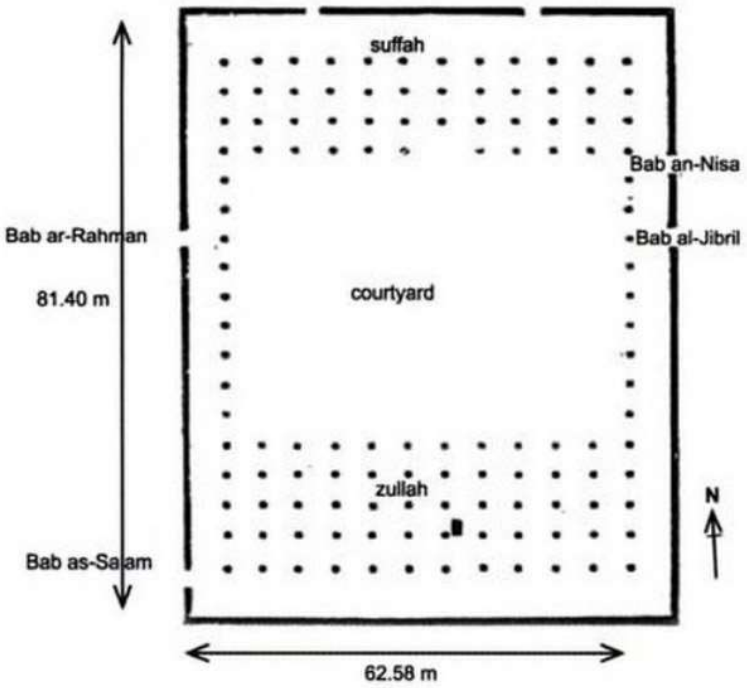

Plan of the Prophet's Mosque after the enlargement and renovation by Caliph Uthman in 650 AD

وكان أول نشاط عمراني قام به رسول الله ﷺ أنه "بنى مسجده ومساكنه" لزوجاته من حوله؛ طبقا لابن هشام الحمْيري (ت 213هـ/828م) في 'السيرة النبوية'. ثم شرع ﷺ يوطّن الناس في مواضع الفراغ القريبة من المسجد ليكون هو قبلتهم ورمز وحدتهم، وهذا ما يذكره ياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م) -في 'معجم البلدان'- بقوله: "فلما قدم رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مهاجرا أقطعَ الناس الدُّور"، فكل حيّ منها سكنه أفراد من قبيلة أو عشيرة واحدة.

وبهذا المقصد تجلت ملامح التخطيط العُمراني لنموذج المدينة الإسلامية منذ عصر النبوة، وهو تسخير العُمران للجمع بين تعزيز وشائج القربى وتذويب الفروقات القبلية، بحيث يكون المسجد هو الرمزَ العَقَدي والاجتماعي الجامع لساكنتها؛ فحوله تتجاور **بيوتهم وأحياؤهم**، وعنده تلتقي شخوصهم وجموعهم، وفي رحابه تتوحد صفوفهم وقلوبهم.

كما حرص النبي ﷺ على أن يكون للمدينة كلها سوق واحد ليتحرر المسلمون من التبعية الاقتصادية ليهود المدينة الذين كانوا سادة الحياة التجارة والصناعة فيها قبل الهجرة؛ فقد جاء في ‘إمتاع الأسماع’ للمقريزي (ت 845هـ/1441م) أن رسول الله ﷺ جاء إلى "موضع النبيط، فقال: هذا سُوقُكم! فأقبل كعب بن الأشرف (زعيم اليهود ت 3هـ/625م)، فدخلها وقطّع أطنابها (= حبال خيامها)، فقال رسول الله ﷺ: لا جَرَم (= لا شكّ)؛ لأنقلنّها إلى موضع هو أغيظ له من هذا، فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثم قال: هذا سُوقكم! لا يُحجر ولا يُضرب عليه الخَراج."

واحتوت طبوغرافية المدينة على طُرق تربط أحياءها ومناطقها بالمسجد النبوي، وفقا لما نجده في تعبير "سكّة من سِكك المدينة" الوارد في بعض أحاديث مُسْند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ/855م)، وكما في خبر أن الخليفة عمر بن الخطاب (ت 23هـ/645م) اعتاد أن "يجول في سِكَك المدينة" لتفقد الرعية؛ حسب ابن شَبّة (ت 262هـ/876م) في ‘تاريخ المدينة.’

وكان من تراتيب التنظيم الإداري للمدينة أن النبي ﷺ خصّص فيها دارا للضيوف من الأفراد ووفود القبائل، فجعلها في إحدى الدُّور الواسعة التي كان يملكها عبد الرحمن بن عوف (ت 32هـ/654م)، فصار "عبد الرحمن يُنزلُ فيها ضيفانَ رسول الله ﷺ فكانت أيضًا تُسمّى دار الضيفان"؛ حسب ابن شبة أيضا.

وقد أوْلى النبي ﷺ عناية خاصة للأمن المائي لساكنة العاصمة الأولى للدولة الإسلامية، فحض أصحاب المال من الصحابة على شراء الآبار العذبة وجعلها منفعة عامة موقوفة على عموم المسلمين، وهو ما بيّنه الخليفة عثمان بن عفان (ت 35هـ/656م) لمحاصِريه الثائرين عليه قائلا: "هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدِمَ المدينَة وليس بها ماءٌ يُستعذَبَ غير بئر رُومة؟ فقال رسول الله ﷺ: مَن يشتري بئر رُومَة فيجعلَ دلوَه مع دِلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتُها من صلب مالي"؛ (سُنن الترمذي).

العمارة الإسلامية التي سايرت الفتوحات الإسلامية :

بعد وفاة النبي ﷺ وبداية الفتوحات الإسلامية في أواخر عصر الخليفة أبي بكر الصدِّيق (ت 13هـ/635م)، واتساع نشاط هذه الفتوحات في عصر الخليفة عمر بن الخطاب على جبهات العراق وفارس والشام ومصر، باتت الحاجة ملحة لإنشاء مدن تكون بمثابة قواعد عسكرية متقدمة لجيوش الفتوح.

وكانت بداية عصر "المدن الإسلامية" في جنوبي العراق بإنشاء الكوفة والبصرة اللتين يؤرخ الإمام الطبري (ت 310هـ/922م) لتأسيسهما بسنة 17هـ/639م؛ فكان التخطيط العمراني فيهما بأمر من الخليفة عمر الفاروق- اقتباسًا من النموذج النبوي لتخطيط المدينة المنورة، وهو النموذج الذي سيسير عليه إلى حد بعيد مخططوا المدن الجديدة في الإسلام خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، مثل الفُسطاط (21هـ/643م) .

بل إن المدن القديمة التي فتحها المسلمون ونزلوا فيها -كحواضر فارس وخراسان والشام ومصر- سار الفاتحون فيها مقتدين بالمنهج النبوي العمراني في انشاء عمران جديد ، دون التعرض لخطط السكان الأصليين؛ فمثلا قُسّمت مدينة حمص .

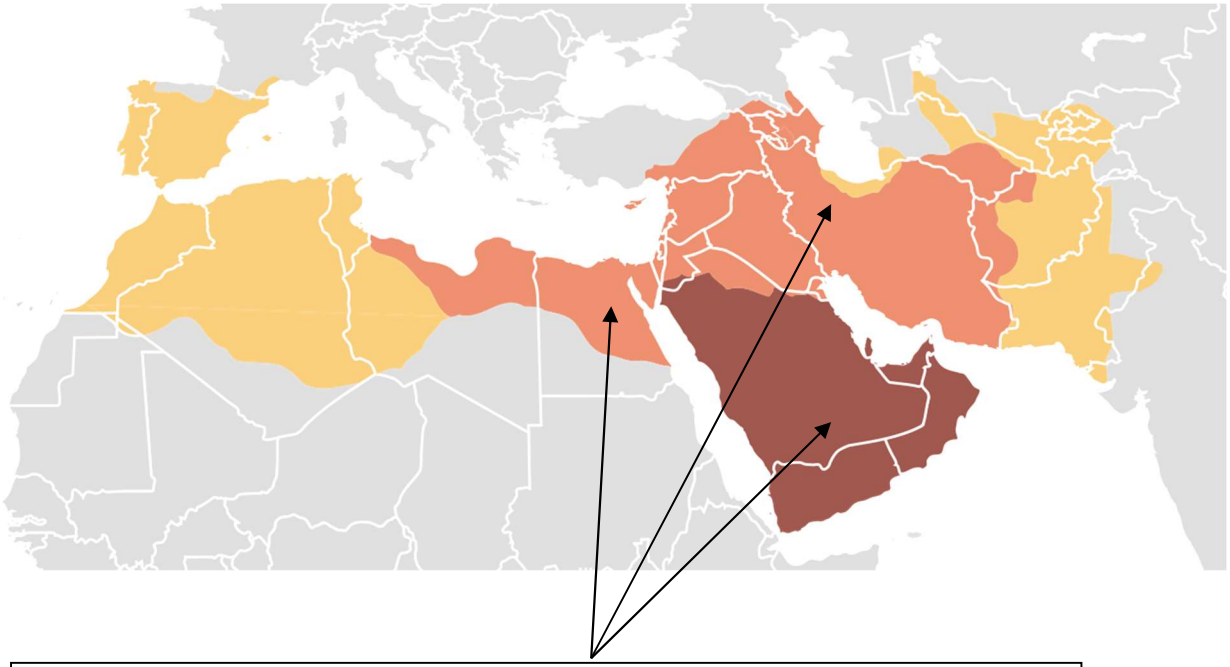

رقعة الدولة الإسلامية منذ النشاءة حتى انتهاء فترة الخلفاء الراشدين سنو661 م

مراحل تطور الدول الإسلامية "لخلافة الإسلامية " :

لقد مرت الدولة الإسلامية ككيان موحد بمراحلة بخمسة مراحل متعاقبة توسعت فيها و بلغت اوج تقدمها في جميع النواحي و خاصة الجانب العمراني و المعماري سوف نذكرها على ان نتوسع فيها في المحضرات القادمة .

نشاءت الدولة الإسلامية مع الهجرة النبوية الشريفة (1-11 هـ /622-632م) :

لقد نشاء تنواة دولة إسلامية في المدينة المنورة بعد ان هاجر الرسول -صلى الله عليه وسلم- من مكة وبعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، بدأت الدولة الإسلامية في التوسع المتسارع حيث . بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم شملت الدولة الإسلامية كل شبه الجزيرة العربية .

الدولة الإسلامية في عهد **الخلفاء الراشدون (11-40هـ/632-661م) :**

وبعد وفاة الرسول بايع المسلمون أبا بكر خليفة لهم، وسميت الفترة من حكم أبي بكر إلى علي بن أبي طالب بالخلافة الراشدة، وكانت مدتها ثلاثين سنة. خلال هذه الفترة، توسعت الدولة الإسلامية إلى ما هو أبعد من شبه الجزيرة العربية ليشمل بلاد الشام وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين وقبرص والعراق ومصر خلالها انشئت الدواوين و القضاء و الشرطة التي هي دعائم الدولة و عاصمة الدولة هي الدينة المنورة .

الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الأموية (41- 132هـ /661-750م) :

بدأت الدولة الأموية بتولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة واستمرت تسعين عاما. وشهدت هذه الفترة توسعاً كبيراً في العالم الإسلامي، فقد امتد في الشرق ليشمل إيران والهند والصين وآسيا الوسطى، وامتد في الغرب إلى شمال أفريقيا والأندلس (إسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا). حيث اصبحت اقوى امبراطورية في العالم و مركز اشعاع علمي و تشكل النمط العمراني و المعماري و الفني الاسلامي المتميز عن ما كان موجود حيث اتخذ الامويون مدينة دمشق بسوريا عاصمة لهم.

الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العباسية (656-132هـ/750-1258م) :

خلف العباسيون الأمويين، واستمرت دولتهم قوية و رائدة في جميع العلوم و الفنون حتى القرن الرابع الهجري، ثم ضعفت وتفككت ونشأت في ظلها أو مستقلة عنها دول كثيرة، ثم قتل الخليفة العباسي على يد المغول عام 656 هـ/ 1258م. و اتخذ العباسيون مدينة بغداد عاصمة لهم .امتدت رقعة الدولة الاسلامية في العهد العباسي الى آسيا الوسطى متوغلا في أقاليم جديدة إضافة إلى تلك التي وصل إليها في العهد الأموي وفي غرب أفريقيا ووسطها وشرقها.

الدولة الإسلامية في عهد المماليك المماليك (648-922هـ/1250-1517م) :

حكم المماليك بعد الأيوبيين، وشملت دولتهم مصر والشام والعراق، وكانت ثمة دول إسلامية مستقلة في أقاليم العالم الإسلامي المختلفة، مثل شمال أفريقيا والأندلس والهند والصين وآسيا الوسطى.وقد أعاد المماليك الخلافة العباسية اسميا، ولكن الحكم الفعلي كان بأيديهم، واستمرت دولتهم تحكم باسم العباسيين حتى عام 1517م حيث قامت على انقاضها الخلافة الدولة العثمانية. ولقد اتخذ المماليك القاهرة عاصمة لهم الدولة في القاهرة.امتد الإسلام في عهد المماليك في جميع أنحاء القارة الهندية وجنوب شرق آسيا وجنوب غرب أفريقيا، وخرجت الأندلس من العالم الإسلامي نهائيا عام 1492.

الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العثمانية (1517-1924) :

بدأت دولة العثمانيين عام 1300 في تركيا، ولكنها ورثت قيادة العالم الإسلامي بعدما ضعفت دولة المماليك في مصر والشام والعراق و انشطرت الى دويلات في أوائل القرن السادس عشر، ثم امتد حكمها إلى شمال أفريقيا. وقد توسع العالم الإسلامي في عهد العثمانيين في تركيا والبلقان وشرق أوروبا ووسطها، كما انتشر الإسلام في غرب أفريقيا والهند وشرق وجنوب شرق آسيا. ولقد اتخذت العثمانيون إسطنبول (القسطنطينية)عاصمة لهم بعد ان فتحوها على يد محمد الفاتح سنة 1453 ، وقد تفككت الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولى وفقدت جميع المناطق التي كانت تابعة لها خارج تركيا. وفي عام 1924 ألغى كمال أتاتورك الخلافة، وأعلن تركيا دولة علمانية.و بذلك تمت نهاية اخر خلافة اسلامية .

الخلاصة :

من خلال ما تعرضنا له في هذه المحاضرة نلاحظ بان منذ نشاءت الدولة الإسلامية التي يمكن ان تؤرخ لها مع الهجرة النبوية الشريفة من مكة للمدينة اهتم المسلمون بالعمران و التعمير لكونه من أسس الخلافة في الأرض و أعطوا أهمية كبيرة و متوازنة بين دور العبادة و الشؤون العامة من مرافق كالاسواق مثلا .اكثر من هذا اول من انشاء تسدور تسيير المدن "صحيفة المدينة " و ان العمران الإسلامي يستوحي مبادئه من كون الحيات في الدنيا فصيرة و ان طالت فالعمران هو لخدمة الانسان "احترام السلم الانساني" يمحي كل ماهو تمييزي (عرقي او ديني) و هذا ما سنتعرض له بالتفصيل في المحاضرات اللاحقة.